Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأدنياء السفهاء والأشقياء الأغبياء جزاء ما اجتراوا عليه فى معاملتى واقترفوه من جهل منزلتى ، ولكنى سمعت فى الحبس ـ ويا سوء ما سمعت ـ أن الدول دالت والأحوال حالت . وانكم اصبحتم فى زمان غير ذلك الزمان ، وفى حال من الفوضى يصح فيها قول ذلك المكارى انه هو والباشا فى المنزلة سواء » (١) .

ثم ينتقل الى الحديث عن التقدم العلمى وخاصة فى الطب ـ وهو مثل من أمثلة الرقى ـ حين أصيبت البلاد بالوباء ، ويعجب الباشا لهذا التقدم العلمى الكبير ، ويستمر فى مسيره مع عيسى بن هشام ، فينتقل الى الجانب الثانى من المجتمع حيث تتركز سيئات المدنية : فهى طبقة « حديثة النشأة حديثة التربية لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، لم يرسخ الايمان فى قلوبهم ولم تتمكن التربية الدينية من نفوسهم ، ولم يتأدبوا بأدب الدين ، ولم يرتاحوا لحسن اليقين . بل اقتصرت بضاعتهم على ما تلقوه فى المدارس من العلوم الآلية ، والفنـــون الصناعية ، دون علوم التربية النفسانية والفضائل الروحانية . وخلت صدورهم من آيات الله والحكمة ، قد أخذوا عن بعض الغربيين عادة التهاون بالشرائع والازدراء بالايمان ، ولم يحيطوا بشىء من العلوم الموضوعة لتقويم النفوس وتطهير الطباع » (٢) .

وقد ارتمت هذه الطبقة فى المباذل التى حملتها الينا الحيـــاة الغربية مع ما حملت ، ولم يقتصر الأمر على سكان المدن ، بل ان بعض أهل الريف الموسرين الذين عرفوا طريقهم الى المدن الكبيرة كالقاهرة كانوا يأتون للهـــو والمجون ويقعون فى أحابيل الخلعاء وسماسرة الفجور ، يدمنون الخمر ويرتمون فى أحضان الرذيلة ، لا يردعهم رادع ولا يحسبون حسابا لما ينفقونه فى فنون الخلاعة .

---

(١) حديث عيسى هشام ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ .